المطلب الثاني:

إنتاج وإعادة إنتاج الهيمنة الفكرية الأمريكية

إن تحليل أنماط الإستشهاد/الإحالات/توظيف الأدبيات السابقة في الكتب المدرسية، يشير أكثر إلى أنماط الاستهلاك، ولكن القليل عن أنماط إنتاج المعرفة العلمية. وهنا يُطرح الإشكال، لأن الهيمنة الفكرية تنعكس ليس فقط على طريقة استهلاك المعرفة النظرية في الأطراف، ولكن أيضًا في طريقة إنتاجها في المركز، وفي أي مكان آخر. ووفقا لذلك، لا يمكن أن يكون التحليل الإحصائي لقوائم المراجع المستخدمة في الكتب المدرسية، أكثر من مجرد تقدير تقريبي لظاهرة الهيمنة الفكرية. ومن أجل فهم كامل للكيفية التي تسير بها هذه الأخيرة، سيكون من الضروري تجاوز تحليل أنماط الاستشهاد/الإعتماد على الأدبيات السابقة[1].

أعطى "ستانلي هوفمان"[2] Stanley Hoffmann (1977) سلسلة من التفسيرات بعيدة المدى، حول لماذا أصبحت العلاقات الدولية عبارة عن "علم أمريكي" بعد الحرب العالمية الثانية. ووفقًا لـ"هوفمان"، فإن انطلاق العلاقات الدولية الأمريكية بعد الحرب العالمية الثانية هو نتيجة التقارب الفريد بين الاهتمامات البحثية والظروف السياسية. فبعد التجربة الصادمة للحرب، كان الباحثون الأميركيون – ناهيك عن اللاجئين الأوروبيين مثل أرنولد وولفرز Arnold Wolfers، وهانس مورغنثاو[3] Hans

[1] Jörg Friedrichs,Op.Cit. p.7.

[2] أحد أهم أساتذة القرن العشرين، أستاذ العلوم السياسية في جامعة هارفارد (1928–2015)، هو فرنسي–أمريكي، ولد في فيينا ثم هاجر إلى فرنسا في الثلاثينيات، وتوفي في كامبريدج في و.م.أ. دَرَّسَ وجسد الثقافة والفكر الأوروبيين في هذه الأخيرة قرابة الستين عاما.

[3] هانس مورغنثاو كان لاجئا من جحيم أوروبا، وكان واحدا من علماء الإجتماع الكثر الذين دفعهم أدولف هتلر نحو العالم الجديد، والذي قدم لقارة كان علم الإجتماع فيها يعاني من النزعة القدرية الشديدة (الايمان الشديد بالقضاء والقدر)، قدم لها منظورات نقدية واهتمامات فلسفية. وكان الوحيد، من بين أقرانه، الذي جعلت منه اهتماماته البحثية مؤسس حقل بحد ذاته. راجع في ذلك:

Morgenthau، وجون هيرز John Herz - مفتونين بظاهرة القوة الدولية. في الوقت نفسه، كان صانعو القرار الأمريكيون في حاجة إلى أساس نظري يتعرض للتركيز الشديد على القوة والاهتمام بسياسات الحرب الباردة. إلى جانب التقارب بين الاهتمامات البحثية والظروف السياسية، ومنه فإن الإنطلاقة السريعة للعلاقات الدولية الأمريكية يمكن أن تُفسر كذلك من باب الإستعدادات الفكرية للباحثين الجدد الشباب في هذه الحقبة، والذين كانوا طلبة الأساتذة الباحثين في الحقبة التي سلفت، وكذلك الفرص المؤسساتية من جهة أخرى، والتي تجسدت في توفر التمويل السخي لبحوث نخبة الباحثين الجدد[4].

من أجل فهم إعادة الإنتاج أو الاستنساخ المتتالي للهيمنة الفكرية الأمريكية، يمكن بسهولة تحديد عوامل الإستقرار الثلاثة التالية للهيمنة الأمريكية على حقل العلاقات الدولية، وهي: استخدام اللغة الإنجليزية كلغة مشتركة، وعملية الاختيار التحريري، والحجم الكبير لمجتمع الباحثين الأمريكان في حقل العلاقات الدولية[5].

لتوضيح ما تقدم ذكره أكثر، يمكن القول أن أي دراسة حول الشؤون الدولية لا يكون لها تأثير على المستوى الدولي إذا لم تكن مكتوبة باللغة الإنجليزية أو مترجمة إلى اللغة الإنجليزية. وقد يكون لهذا عواقب مهمة، ذلك أن استخدام أية لغة كانت دون غيرها، يميزه نمط معين من التفكير، وثقافة محددة، وطريقة معينة في بناء الحقيقة[6].

Stanley Hoffmann, «An American Social Science: International Relations », Daedalus, Vol. 106, No. 3, Discoveries and Interpretations: Studies in Contemporary Scholarship, Volume I (Summer, 1977), p.44.

[4] Jörg Friedrichs,Op.Cit. p.8.

[5] Ibid. p.8.

[6] Ibid. p.8.

من ناحية أخرى، تتحكم فرق التحرير ودور النشر الأمريكية الرئيسية في وصول المقالات والكتب العلمية إلى الجمهور العالمي. وكلما ازداد الكتاب أو المقالة توافقا مع الأنماط الأمريكية العادية للتنظير والبحث، كلما زاد احتمال الوصول إلى مجموعة دولية مستهدفة. إذا لم تتفق المساهمة مع النهج الأمريكي في البحث، فإن العمل سيواجه إمكانية رفضه من قبل فريق التحرير أو المراجعين[7].

[7] Jörg Friedrichs,Op.Cit. p.9.